# حوار مع مفكر
# حول مأزق المثقف الغربي

## حوار مع فرانسوا شاتليه

أجراه: د. سهيل القش

١. مأزق المثقف الغربي
٢. علاقة المثقف الغربي بالثورة في الشرق
٣. علاقة المثقف الغربي بالمثقف العربي وبالاسلام.

في مطلع هذا العام، تُوفي الفيلسوف الفرنسي فرانسوا شاتليه.

مفكّر عبّر في كتاباته ومواقفه عن هموم جيل. كان المثقف الملتزم حيناً، والحائر بين التزامه وعدمه حيناً آخر، والمتابع لحركة الأفكار في بلاده، وفي تقاطعها مع الأفكار في الخارج، في كل الأحيان. لم يكن بذلك بعيداً عن حركة الأفكار في بلادنا.. واشتغل معه على هذه الحركة عدد من المثقفين العرب، عبر إعدادهم لأطروحاتهم في الفلسفة. الا ان بعضهم ارتبط بالرجل، عبر العمل الفكري، بما يشبه الصداقة. فكان أقرب الى الإعراب عن مسار فكره وتطوره. لذا لم تجد «الفكر العربي»، وهي في صدد إعداد هذا العدد عن الفلسفة خيراً من نشر هذه المقابلة التي أجراها مع الفيلسوف الراحل أحد المتابعين نشاطه الفكري والمتقاطعين مع هذا النشاط، الدكتور سهيل القش. ورغم ان هذه المقابلة تعود الى سنوات مضت، الا انها، اذ تحاور الرجل انطلاقاً من معرفة مدقّقة بنتاجه ومواقفه، تشكّل تعريفاً بهذا النتاج، وإشارة الى أهم المشكلات النظرية والعملية التي توقف عندها.

هذا مفكر وضع عشرات المقالات والكتب، وكانت له مواقف من الأحداث الرئيسية في مجتمعه. ورغم ذلك لا يجد حرجاً في القول ان انخراطه، لسنوات، في ممارسة ما، قد «أسفر عن فشل نظري وعملي»، دون أن يؤدي به هذا «الفشل» الى المناداة بالكبّاه والتعساه. هذا مفكر نهل من الماركسية واللينينية دون أن يقدّسها

ويرفعها الى مصاف الأنصاب الفكرية، فعاد يتحدث عن « ثورة بلا نموذج ». ورغم أن مؤلّفه الرئيسي « ولادة التاريخ » يجعله مبدئياً في عداد فلاسفة التاريخ، فهو لا يجد غضاضة في القول انه خرج على فلسفات التاريخ..

شاتليه نموذج للمفكر الذي لا تستلبه أفكاره. نموذج للمثقف الذي لا يتحوّل الى عقائدي. ولا يفقد حسّه النقدي اذ يعيش في غمرة الايديولوجيات. شاتليه، بذلك، درس عملي يُحتـذى. ويستحق أن تُزجى اليه تحيّة طيبة، وودودة. ويستحقّ أن يُقرأ..

ح. ق.

## 1 ـ مأزق المثقف الغربي

**□ سهيل القش: لقد سبق لفرنسوا شاتليه أن لمّ مساره السياسي والنظري في كتابين أحدهما روائي: سنوات الهدم Les années de démolition (1975)، والآخر حواري مباشر: تأريخ الأفكار الضائعة chronique des idées perdues (1977)؛ ولسوء الحظ أو لحسنه أن يكون فريدريك نيتشه محقاً بقوله، في كتابه La vision dionysiaque du monde، « إننا نكون قد خرجنا من الحلم حين نبدأ بسرده وتأويله بالماضي وكأنه أصبح وراءنا ». ولا أدري اذا كان الحلم الذي راودك بتغيير المجتمع الغربي، وهو في نهاية المطاف حلم راود جيلاً كاملاً من المثقفين في الغرب والذين أصبحوا يتنكرون لثوريتهم، قد أصبح أضغاثاً لم يبق منه سوى الذكريات؛ فتحول العلم الماركسي لهذا الجيل الى استذكار (réminiscene) هـو أقـرب الى المعرفة الأفلاطونية؛ وانكفأ جيلكم الى حلقات أصدقاء يجمعها حلم ماض ويؤرقها حاضر في مأزق؛ فأصبحت كل حلقة تجد نفسها في عزلة عن الآخرين تفرقها التفاصيل النظرية أكثر مما يشد أواصرها مشروع سياسي. أذكر على سبيل المثال الثلاثي: جيل دوللوز Gilles Deleuze، جان فرنسوا ليوتار Jean-François Lyotard، وفرنسوا شاتليه François Châtelet؛ فلو أطلقنا على هذا الثلاثي تسمية « فلاسفة الرغبة » لتنصل فرنسوا شاتليه من الحلقة ولحاول ليوتار التمايز؛ هذا داخل الحلقة الواحدة، فكم بالحري لو وسعنا الدائرة لتناول حلقات أخرى: ميشال فوكو Michel Foucault وحلقة أصدقائه المستجدّة ( الفلاسفة الجدد ) التي تفرق شملها قبل أن يلتئم؟ إنني أتساءل اذا كان هذا التشرذم دليل عافية أم مأزق؟ هذا مع العلم أن حلم فرنسوا شاتليه قد كان طموحاً، وقد بدأ بالانخراط في الحزب الشيوعي الفرنسي « كمناضل » ـ لمدة خمس سنوات ـ وليس « كرفيق طريق » كما كان يحلو لجان بول سارتر أن يحدّد علاقته بالحزب؛ ثم بدأ بالتمرد في نهاية الخمسينات: عام 1959 قدمت أطـروحتـك في الفلسفـة حـول: « ولادة التـاريـخ » «Naissance de l'histoire» مع أطروحة مكملة: « العقل والممارسة» «Logos et praxis»، أعقبها صدور أربعة كتب تتناول مسألة تجديد الفكر الماركسي التي تطرقت اليها في « العقل والممارسة »:**

**ـ جان بول سارتر: نقد الفكر الجدلي.**

**ـ هنري لوفيڤر: المجموع والباقي.**

**ـ لوسيان غولدمان: الأبحاث الجدلية.**
**ـ كوستاس اكسيلوس: ماركس مفكر التقنية.**

**وبعد صدور أطروحتك لم تتوقف عن الانتاج الفكري: «أفلاطون» (1965)، «هيغل» (1968)، وقد ترجم الى العربية، «فلسفة الأساتذة» (1970)، «تاريخ الفلسفة» (1972 ـ 1973)، «الثورة بدون نموذج» (1974)، «الماركسيون والسياسة» (1975)، «سنوات الهدم» (1975)، «صورة كتاب: رأس المال» (1977)، «تأريخ الأفكار الضائعة» (1977)، «تاريخ الايديولوجيات» (1978)، «أسئلة واعتراضات» (1979).**

**قد يكون من المفيد أن نلاحق مسارك هذا على المستويين السياسي والنظري وذلك بمقدار ما يتعدى هذا المسار التجربة الفردية وبمقدار ما يعبر عن مأزق جيل كامل من المثقفين الغربيين.**

**ـ فرنسوا شاتليه:** في الواقع ان هذين المستويين ما انفكا يتقاطعان في حياتي وفي فكري. ان أهمية التجربة التي يمكن أن أنطلق منها ليست في كونها تجربة فردية، بل تكمن أهميتها في كونها تعكس مساراً عاماً لعدد من الباحثين (وأنا لا أحب كثيراً هذه الكلمة) والمثقفين الفرنسيين؛ إنني أعتقد من وجهة النظر هذه انني مجرد انسان متوسط، وانني ـ بمواقفي السابقة والراهنة وبتساؤلاتي ـ أعبر نوعاً ما عن المسار العام الذي حكم تجربتنا منذ بدء التزامنا الذي يرجع الى عام 1954 كي لا أمعن أكثر في الماضي وصولاً الى مرحلة «المقاومة»؛ ان عام 1954 يحدد بداية التزام كثير من المثقفين الفرنسيين بالحرب الجزائرية الى جانب الجزائريين.

هناك واقع يجب أن نقرّ به: بغض النظر عن كوننا سابقاً على خطأ أم على صواب، فإنه لم يعد بإمكاننا اليوم أن نؤيد فكرة الثورة كما كنا نتصورها منذ 15 أو 20 سنة: على غرار فكرة الجمال لدى السورياليين، فإن فكرة الثورة قد باتت، وأصبح من الصعب جداً علينا أن نفكر بنفس الوجهة. وهذا لا يعني انني فقدت الأمل ويئست أو أصبحت متشائماً؛ إنني، على العكس من ذلك، أعتقد بانني، بمقدار ما ضاعفت معارفي وأغنيت تجربتي النضالية، أتصور الآن تغيير المجتمعات بطريقة مختلفة.

في الواقع ان ما اختبرته من جهتي كان فشلاً نظرياً وعملياً لما أسميه بشكل عام فلسفات التاريخ، فعلى امتداد الفترة التي كنت أزاول فيها مهنة التدريس وأقوم في نفس الوقت بعمل نضالي نقابي أو سياسي داخل أحزاب سياسية او منظمات قريبة مثلاً من المجاهدين الجزائريين، كنت أعتقد وأؤمن ـ وكان ايماني هذا يكتسب شرعية في نظري من دوافع نظرية ـ بنوع من فلسفة التاريخ كانت تقوم على الهيغلية التي أعاد النظر فيها وصممها كل من ماركس ولينين، والتي تعتبر انه في لحظة معينة يصبح الوضع مؤاتياً لأن تقوم معركة باسلة، بناء على قرار مناسب، بدفع التاريخ في الاتجاه الصحيح.

لقد كنت دائماً حذراً من الأحزاب حتى حين كنت أنا نفسي محازباً؛ في الواقع أنا كنت دائماً مناضلاً سيئاً، وهذا أتنبه اليه الآن، اذ كانت تساورني الشكوك باستمرار، ولم أكن يوماً منضبطاً أو ملتزماً في أبحاثي النظرية ولا في نشاطي العملي. وبذلك كانت الفرصة مؤاتية لكي أتطور بسرعة حين تراكمت البراهين لتؤكد لي ان هذه

الرؤية المانوية والتبسيطية للتاريخ لم تكن ذات فعالية ،أكثر من ذلك كانت مضرة. وبإختصار ، ولكي أقول الأشياء بشكل مبسط ، لقد أدركت في لحظة معينة ان فلسفات التاريخ تلك ـ التي كنت أعتنقها ، أي الهيغلية التي صممها كل من ماركس ولينين ـ قد تحولت الى شيء مختلف عما كانت عليه في البداية ـ وأنا هنا لست دقيقاً فيما يختص بماركس بنفس القدر من الدقة بالنسبة لهيغل ولينين ـ كما أدركت ان فلسفات التاريخ كانت دائماً فلسفات دولة ، وكانت تشكل نوعاً من الميل الى تصور شمولي لصيرورة البشرية.

ان تجربتنا في فرنسا بعد أحداث 1968 ذات الدلالة ـ يجب الحديث بالحري عن 1965 حين جرت أحداث مشابهة في الولايات المتحدة واليابان وبولونيا وهنغاريا وأوروبا نفسها الخ... وهي سلسلة أحداث أشمل بكثير من أحداث 1968 في باريس ـ هذه التجربة علمتني بوضوح ان ما نسميه حركة ثورية غالباً ما تقتصر على تغيير في الدولة ، وعلى تغيير الدولة دون أن يؤدي ذلك بالضرورة الى تغيير المجتمع . ان العودة بشكل خاص الى الثورة البولشفية ، وكذلك التصور الذي يمكن أن نكونه الآن عن الثورة الصينية ، كل ذلك يحملنا على الاعتقاد بأن الثورة المقتصرة على القمة ليست فعالة اذا لم يرافقها تغيير في العلاقات الاجتماعية في العمق ؛ وباستعمال المصطلحات الماركسية المتداولة نقول: ليس صحيحاً ان التغيير القسري لسوق العمل مثلاً ، كما حصل مع الثورة البولشفية ، يحتم بالضرورة تغييراً في الأخلاق ؛ من المحتمل أن يكون الثوريون البلاشفة ، المحكومون بدون شك بالظروف فلم يولوا الاهتمام الكافي لهذه الظاهرة ، قد تركوا العلاقات التراتبية مثلاً على حالها داخل المجتمع ، وان تكون هذه العلاقات قد نهشت المكتسبات التي انجزت في الميادين الأخرى وأسفرت عن النتائج المعروفة: أي الدولة الستالينية التسلطية.

بالاضافة الى ذلك ، وفي مجتمعاتنا بالذات ، نلاحظ ان الاختبارات في مجال المجتمع يمكن أن تكون ذات تأثير حتى خارج مواقف الأحزاب السياسية ؛ من المسلم به بهذا الصدد انه لا يمكننا أن نحرز كثيراً من الانتصارات ، ولكنني أعتقد ان نضال المرأة في فرنسا بعد 1968 يشكل نموذجاً عن هذه الحركات الاجتماعية ؛ في الواقع ان هذا النضال قد حوّل فعلاً علاقات الرجل بالمرأة في المجتمع ؛ باستطاعتنا أن نناقش حول جدوى وقيمة هذه التحولات ، ولكن من المؤكد أن ثمة تحولات تبدو لي قد كرّست الآن نهائياً (اللهم اذا لم تحصل نكسة مأساوية).

وبهذا الصدد أنا أعتقد انه يجب أن نكون مقتصدين جداً باستعمال كلمة ثورة ؛ كما أعتقد انه ، اذا نظرنا الى ماضي البشرية بهذه العيون ، فمن المحتمل ألا نبرز نفس الثورات التي كنا نتصور ؛ ستكون هناك ثورات من نمط آخر.

**□ سهيل القش: لقد سبق لك أن نشرت كتاباً بالاشتراك مع جيل لابوج Gilles Labouge واوليفيه ريفو داللون Olivier Revault d'Allonnes ، حول «ثورة بدون نموذج» «Revolution sans modèle» ، وهو عنوان ذو دلالة بالاضافة الى أهمية محتوى النقاش. لنقل انك بدأت التزامك**

السياسي بتبني نموذج الثورة البولشفية ـ مع ملاحظة ان معظم المثقفين الغربيين ومثقفي العالم الثالث قد مرّوا بنفس المرحلة فكان لكل منهم موسكو مرجعية ـ ثم تمردت على النموذج البولشفي في أوروبا وفي الاتحاد السوفياتي على السواء انطلاقاً من نموذج الثورات وحركات التحرر في «العالم الثالث» (مع عدم تعاطفي مع هذا التعبير وحتى لا أستعمل كلمة «شرق» التي قد تنزلق بنا الى جغرافية الماركسيين الذين انجروا للتقسيم الشكلي «شرق / غرب» والذي لا يقل ارهاباً عن التقسيم الالتوسيري «علم / ايديولوجيا»)، وذلك بدءاً بالجزائر، مروراً بفيتنام وفلسطين وانتهاء بايران. وقد تخلل هذا المسار وحكمه نموذج «الثورة الثقافية الصينية» الذي كشف بدوره زيف النماذج وجعل من ماوتسي تونغ «نمراً من ورق» ـ يا لسخرية التسميات بعد أن رأينا شارل بتلهايم مؤخراً يتنكر لتحاليله المادية السابقة!ـ لنقل ان فرنسوا شاتليه كان دائماً يتوخى الخروج من النماذج ومن «فكر النمذجة»، ولكن محاولاتك كانت دائماً أسيرة نموذج ضمني تؤيده وتتعاطف معه كما يؤكد ذلك مسارك السياسي؛ فحين بدأت بتحقيب مسارك ذكرت الجزائر عام 1954 (بدء الكفاح المسلح)، وهذا ليس بالصدفة. انني أتساءل ما اذا كانت «أممية» الثوريين الغربيين دليل «بجبوحة نضالية» داخل مجتمعهم أم دليل مأزق، خاصة وان هذه «الأممية» غالباً ما تصطدم بانطواء شعوب العالم الثالث على ذاتها وانغلاقها على الأجنبي حتى الصديق؛ تحضر الى ذهني بهذا الصدد أغنية شعبية تونسية تقول: «لو كان ما يحبونا، فرنسيس وأمريكان ما يزورونا»، كما تحضر الى ذهني مقدمة جان بول سارتر الشهيرة لكتاب «معذبو الأرض» لفرانز فانون. قد يكون من المفيد أن نستعيد الآن الحلم الذي راودك بتغيير المجتمع الفرنسي والغربي ماذا يعني راهناً تغيير المجتمع الفرنسي؟ هناك برنامج الحزب الشيوعي من جهة، وقد أثبت فشله مؤخراً، وهناك محاولات يسارية انتعشت مع انتفاضة 1968 وما لبثت أن انحسرت ولم يبقَ منها سوى بقايا مثقفين تنكروا لتاريخهم. كان أحد الماديين الفرنسيين «امانويل تيري» (Emmanuel Terray) يحدد مأزق اليسار الجديد بالقول: «ان مفارقة هذا اليسار تقوم على تناقض: إننا لا نستطيع أن نقوم بالثورة في فرنسا مع الحزب الشيوعي، كما لا يمكننا أن نقوم بها بدونه»؛ هذا لسنوات خلت، ومنذ ذلك الحين لم يبقَ لديه ما يقوله سياسياً. لا أدري اذا كان لدى فرنسوا شاتليه ما يقوله بهذا الشأن.

ـ **فرنسوا شاتليه**: إنك، بطرحك هذا السؤال الجذري، تدفعني الى أن أذهب في العمق، ولا بأس في ذلك. انني أعتقد بأن مجتمعاتنا الراهنة قائمة على ثلاث قيم عملية مشتركة بين كافة الأنظمة والمجتمعات (وهنا أتكلم كأفلاطون): العمل والعائلة والوطن. انا أعتقد ان الشعار الذي أطلقه الماريشال بيتان ليحدد به فرنسا المتواطئة، يمكن اعتباره شعاراً يحكم جميع الأنظمة أياً كانت الايديولوجية التي ينتمي اليها هذا النظام أو ذاك. فالمسألة التي تطرح هنا بالنسبة الينا، كمفكرين وكأناس يطمحون لتغيير الواقع الذي لا يرضينا والذي يبدو لنا في منتهى الظلم والتهديد للحريات، هي أن نكتشف الحركات العميقة القادرة على اعادة النظر بهذه البنية: العمل، العائلة والوطن. وأنا بهذا الصدد حساس جداً للحركات والظاهرات التي تمس احدى هذه القيم. لقد تحدثت سابقاً عن الحركة النسائية، وذلك لأنني أعتقد بأنه من المحتمل أن يقوم بهذه الطريقة نمط آخر من العلاقات المتعلقة بالحياة

العائلية؛ أنا أعتقد إننا هنا أمام فرصة سانحة لفك الطوق عن المجتمع؛ يبدو لي أن اعادة تحديد الطفولة بنوع خاص، واعادة تحديد علاقة الرجل بالمرأة، هي عناصر ضرورية لتغيير السلطة؛ وبتعبير آخر فإن تغيير الدولة والتغيير في الدولة يبقى عرضة للوقوع في عدم الفعالية اذا بقيت علاقات أساسية كهذه على ما هي عليه؛ وأنا لا أعتقد بأن هذه العلاقات محفورة في الطبيعة البشرية، وبهذا المعنى لست يائساً اذ أعتقد ان باستطاعة الانسان أن يفتش في مكان آخر وأن يبتكر شيئاً آخر. واذا كنت يوماً قريباً من ماركس ومن الماركسية، بالرغم من الخلافات العميقة خاصة مع لينين ـ بالمناسبة، لقد كنت دائماً على خلاف فلسفي مع لينين، اذ اعتبرت دائماً نصوصه الفلسفية ضعيفة لا تستحق علامة جيدة في مسابقة فلسفية، أصححها نظراً لارتكابه عدة أخطاء خاصة خطأ جهله بالنصوص التي يتحث عنها ـ فإذا كنت يوماً قريباً من ماركس فذلك يعود الى انه كان شديد الحساسية تجاه مسألة العمل اذ أدرك انه يجب البحث في هذا المجال عن فك طوق العوز الاجتماعي عن الإنسان، وذلك في تصوره لمجتمع ـ وهو تصور كان تطبيقه مؤسفاً، اذ لم يطبق فعلاً ـ يدير شؤونه المنتجون أنفسهم. لقد كانت تتحكم بماركس ارادة تحويل علاقة الإنسان بالعمل. انالاشتراكية من كوجهة النظر هذه لا علاقة لها فعلاً بالاشتراكية القائمة، وكما يقول رودولف بارو، فإن الاشتراكية القائمة لم تحقق شيئاً في هذا المجال، فبقي العمل على حاله في كل من الاتحاد السوفياتي والصين كما في كل البدان التي يقال انها قائمة على الاشتراكية. هنا أضع يدي على نقطة حساسة لأنه يصعب التكلم عنها؛ إنني أعتقد ان القومية والوطنية هي أيضاً واحدة من تلك القيم المقيدة والغنية (بالمعنى السلبي) باحتمالات الطرح الشمولي. يجب القول انني لا أرى بديلاً للعائلة الحالية، ولا للوطن الحالي أو للعمل الحالي، ولحسن الحظ إنني لا أرى البديل، وذلك لأنني لو ادعيت رؤية البديل لأصبحت مجدداً من أولئك الفلاسفة السلطويين الذين يريدون أن يلقوا دروساً على المجتمعات. ولكن ما أعرف هو ان وجود هذه المظالم البديهية وهذه التهديدات للحرية انما مرده الى كون هذه القيم ما زالت مسيطرة حتى في المجالات التي تبرز فيها معالم واضحة لتغير المجتمع.

هذه هي الثورة بدون نموذج، أي ثورة لا تقتصر على تغيير السلطة بل تعيد النظر ببنية السلطة الحالية على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية؛ ذلك ان تغيير العمل يتناول البنى الاقتصادية، وتغيير العائلة يتناول البنى الاجتماعية، والتغيير الذي يطرأ على القومية انما يردنا الى التوجهات الايديولوجية.

**□ سهيل القش: لنقل ان هذا التغيير يعطي الأولوية للمجتمع الأهلي دون أن يهمل مسألة السلطة، كما يعطي الأولوية للخاص آخذاً بعين الاعتبار العام. ولكن هنا تطرح مسألة هامة تتعلق بكيفية التغيير: فإذا سلمنا بأن تغيير السلطة لا يكفي لتغيير العلاقات السائدة في المجتمع، فإن اعطاء الأولوية لتغيير العلاقات والقيم السائدة، دون التطرق لموضوع السلطة قد يؤدي بنا الى منزلق «سوريالي» جديد يستبدل الفعل الثوري بموقف جمالي مستطرف. فالسؤال الذي يطرح هنا على فرنسوا شاتليه، وأنا على يقين انه طرحه على نفسه، هو حول مدى تأثير هذا الخطاب وفعله في الواقع؛ وبتعبير آخر، ما هي القوى**

**الاجتماعية في فرنسا الحالية التي تحمل هذا الخطاب وتستطيع أن تحوله من موقف جمالي أو فهمي الى موقف سياسي فاعل وقابل للتحقيق؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** أنا أتأمل في الشباب، وقد بدأت تلوح لي بعض المؤشرات. ان الشباب، حتى ولو كان تحررهم من الضغوطات التي يخضعون تحرراً فردياً، فإنهم مدركون لذلك تمام الادراك. يبدو لي أن ذهنية ما بدأت تتكون لدى الأجيال الجديدة (10 ـ 12 ـ 15 سنة) يحددها علماء الاجتماع بشكل سطحي حين يقولون ان الشباب قد ملّوا المجتمع الاستهلاكي؛ يبدو لي ان هذه الذهنية تعكس بشكل أعمق اعادة النظر بهذه القيم التقليدية التي تمارسها المجتمعات الأوروبية. لقد كان لنا مثال على ذلك في أيار 1968 . ولكني أقول ان ثمة مثالاً دائماً على ذلك، اذ انه أصبح من الصعب أخذ الشباب على حين غرة؛ هذا بالاضافة الى عجز السلطات الحالية عن تأطير هؤلاء الشباب واغرائهم بالكماليات كما كانت الحال منذ 7 أو 8 سنوات، في عهد بومبيدو مثلاً ومع نهاية العهد الديغولي. لقد كانت البحبوحة تسمح بتجاوز ذلك؛ ولكن تأزم الوضع أدى الى تولد شعور لدى الشباب بأن عليهم أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم. ان المحاولات الحالية التي تقوم بها وزارة التربية لتقسيم وجود الشباب الى مهن قد باءت بالفشل؛ وأنا أعتقد ان سبب ذلك قد يعود لعجزنا نحن الذين كان بإمكاننا التكلم. لقد كانت تعوزنا الشجاعة لنقول لهم: انظروا إلى حقائقنا نحن، إننا لم نعد نؤمن بهذه الأشياء، وأنا على يقين أنه يبدو من المفارقة أن نقول: لا تؤمنوا بالوطن مثلاً، وذلك لأناس يعانون من الوطن في كل المجالات وعلى المستويين النفسي والمعنوي؛ ولكني أعتقد انه يجب أن تكون لدينا شجاعة القول، مع لفت نظرهم الى أن ذلك يشكل لحظة في المعركة وان عليهم أن يذهبوا أبعد من ذلك؛ اذ ان أهم ما ورثناه عن لينين ـ اذا ما بقي شيء منه ـ خاصة في المجال الايديولوجي، هو توفير المراحل: ألم يحن الوقت لنعلن عالياً أن العمل ليس جيداً في حد ذاته، وكذلك الوطن؟

□ **سهيل القش: بالمناسبة، لو نتكلم قليلاً عن مسارك الثقافي والايديولوجي.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** إن ذلك يطال واقع انني خرجت من فلسفات التاريخ، وبدأت تساورني بشكل عام شكوك كثيرة حول امكانية أن ننتج اليوم معرفة ما، وأنا لا أقول ان الأمر كان كذلك في كل العصور، ولا أن المسألة تتعلق بتعدد الاختصاصات الذي يفرض مزيداً من العلم ومزيداً من المعارف، الخ... ان المسألة لا علاقة لها بشيء عيني كهذا، بل أنا أعتقد ان حالة مجتمعنا بالذات قائمة بشكل أن تكوّن معرفة شمولية اليوم، أو تكون مذهب يفسر ألف وياء الواقع، انما يولد بالضرورة سلطات كلية. ان نضالنا يجب أن يشمل تدعيم المعارف، ذلك انني ما زلت في هذا المجال مليئاً بالارادة لكسب المعارف وتنميتها ونشرها الى أقصى الحدود.

ان النقد الذي أوجهه بهذا الصدد الى الدول الحالية، يتناول غياب أي جهد فعلي لتنمية ثقافة الجماهير؛ ان كل ما يقال في هذا المجال خطأ. ان بلدان العالم الثالث قد تكون أكثر تطوراً في هذا المجال، ذلك ان لارادة

محو الأمية معنى مهماً وصحيحاً. إذن أنا مدافع عنيد عن المعارف، وأنا بهذا الصدد ما زلت قريباً جداً من مثل عهد الأنوار، ولا أرى مبرراً الآن للحط من قدر القرن الثامن عشر؛ هذا مع العلم انني لا أقول بإمكانية بناء مذاهب شاملة وموسوعات؛ بل أعتقد، على العكس من ذلك، ان لهذه المذاهب الشاملة نتائج مؤسفة وهي تشكل دائماً ذريعة جيدة للسلطات لكي تكرس سيطرتها الايديولوجية على المجتمع.

□ **سهيل القش: قلت انك تتكلم غالباً عن النسق الهيغلي ـ الماركسي بمعنى انك انتميت اليه في مرحلة معينة ثم بدأت تتمايز عنه؛ قد يكون من المفيد أن نحدد هذا التمايز في مسارك الفكري، اذ لم يعد يكفي اليوم أن نقول اننا نتمايز عن النسق الهيغلي ـ الماركسي التقليدي، بل علينا أن نحدد المكان أو الحيز النظري الذي يسمح لنا بهذا التمايز، وهو حيز متعدد الاحتمالات والمفاجآت وهو ما نلمسه من خلال تبدل قناعات المثقفين العرب، كما نلمس ذلك في أوروبا أيضاً.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** من الممكن أن يكون للمسألة وجهان: أولاً وجه نظري، وذلك نظراً لأنني أعطي دروساً وأهتم ببعض المواضيع، بالإضافة إلى كوني أؤلف كتباً أسعى لأن تكون واضحة قدر الإمكان، أي أن تعبر عن الموضوع الذي أتناوله بشيء من الشفافية؛ لذلك أدركت ان هذه الأنساق والمذاهب الكبيرة سرعان ما تتحول الى آلات لالغاء التفكير، ولحل المسائل حتى قبل طرحها، ولاختراع مسائل يكون حلها الوحيد بتكرار ما قيل سابقاً بصددها؛ ومن وجهة النظر هذه نلاحظ حالياً في فرنسا، وأنا آسف لقول ذلك اذ يتعلق الأمر سياسياً بأصدقاء لي يقفون هذا الموقف، سيطرة نوع من الماركسية الاكاديمية المحزنة؛ اذ ما أن نفتح الصفحة الأولى من الكتاب حتى نعرف ما سيتضمنه، وغالباً ما يكون عنوان الكتاب نفسه مؤشراً عن مضمونه، فندرك مسبقاً ما ستكون عليه الأجوبة مع بعض التحسينات المدرسية، أو بعض الاكتشافات الصغيرة؛ وهذا ما يذكرنا بما كان يقوله زينوفييف عن الفلسفة السوفياتية..

□ **سهيل القش: على من ينطبق هذا القول في فرنسا؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** إنه ينطبق على كل ما يسمى اليوم ماركسية أكاديمية، أكانت هذه الماركسية تنتمي الى المذهب الإنسانوي المتجدد، الغاروديون المتجددون أو الالتوسيريون المتجددون، وهذا نفس الشيء. أنا لا أرى شيئاً ذا قيمة، لا في انسانوية ايلنشتاين الرخوة ولا في الصراعات المتأخرة لما يسمى بالمنشقين عن الألتوسيرية؛ لا يوجد شيء يدعونا الى التفكير أو يفتح أمامنا أي أفق جديد.

□ **سهيل القش: وهل ما زال للالتوسيرية تأثير ما حتى اليوم؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** أعتقد ان ذلك بدأ يتلاشى، وأنا حين أقول ذلك لا أتكلم فقط عن الكتب التي تنشر؛ إني ألاحق الفكر الذي يبنى من خلال أطروحات الدكتوراه، والأطروحات هي ظاهرة متأخرة لأنها تكون قد سُجلت منذ 5 أو 8 أو 10 سنوات، وغالباً ما يبدأ المرشح للدكتوراه مرافعته بالتأكيد انه لم يعد يؤمن حالياً بما

هو مكتوب في أطروحته. وبتعبير آخر، أصبح ذلك تمريناً أكاديمياً. إنّ مثقفي الحزب الاشتراكي لا ينتجون شيئاً حالياً. ماذا يجري في هذا المجال؟ إننا نلاحظ ان الفكر يسير في أماكن أخرى، ولحسن الحظ انه يسير وسط أناس يساريين بدون انتماء محدد، إذ لا يمكننا أن نعطيهم هذا التعريف أو ذاك؛ وألاحظ بفرح شخصي ان مكان ماركس ما زال مصوناً وذلك من وجهة نظر الفكر الذي يفكر.

□ **سهيل القش: بالرغم من الحملة الراهنة على الماركسية؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** ان هذه الحملة خرقاء إذ تعوزها الحجج، وهي لذلك ضعيفة إذ إن دحض ماركس يتطلب أسلحة أخرى أكثر جدية. أنا أعتقد ان ثمة جوانب عند ماركس يجب أن تنتقد بكل شدة؛ وأنا لا أتكلم هنا عن الماركسية ـ فلندع جانباً ما يتعلق بالمذهب الذي أنتقده كمذهب ـ بل عن نصوص ماركس، فأنا أعتقد شخصياً ان هناك عدداً من تحاليل ماركس التي لا يكفي أن نقول عنها انها لا تصلح إلا لعصرها، بل يجب القول إنها، حتى بالنسبة لعصرها، كانت أسيرة تصور فكري معين لا أحمله أنا شخصياً، وحتى اني أخالفه كلياً وأناقضه. وهذا لا يمنع أن يبقى ماركس مفكراً ليس بالإمكان الالتفاف حوله، انه ما زال أحد المفكرين الذين علينا الاستناد اليهم في محاولتنا فهم الوضع الراهن، ومن الغباء أن نستسهل الإلقاء به جانباً هكذا وبكل بساطة، فهذا التصرف لا يستند الى أساس.

□ **سهيل القش: عام 1976 برزت في قسم الفلسفة في جامعة فانسين Vincennes ظاهرة ذات دلالة: اذ أنشأت مجموعة من الأساتذة والطلاب «قسماً ماركسياً» يسعى للرد على أطروحات «فلاسفة الرغبة» (أو فلاسفة اللاعقلانية كما يدعونهم) والمتمثلين بـ Gilles Deleuze، J. F. Lytard، René Schérer، Guy Hocqueughem، والذين كانوا يلاقون نجاحاً متزايداً. وقد فشلت المحاولة «الماركسية» اذ كان التصنيف ينزلق الى التسميات المسبقة ولا يتناول الخيط الرفيع الذي يشد تياراً أوسع متفاوت المواقف يلتقي بشكل رئيسي على إعادة النظر بالعقل الكلاسيكي. وهذا التيار يمكن أن يتسع ليضم: فيليكس غاتاري، ميشال فوكو، كلود لوفور، مارسيل غوشيه، بيار وهيلين كلاستر، كورنيليوس كاستورياديس، ميشال سيريس، جان دوزونتي، رولان بارت، جان بودريار، جيرار ميراي، جاك رونسيير، روبير لينهارت، جان مارك ليفي لوبلون، وربما فرنسوا شاتليه. كما يجمع هذا التيار الواسع موقف نقدي من السلطة كسلطة وكمؤسسة، كما يلتقي على موقف نقدي من مشاريع السلطة المضادة التي لا تنجو من الفكر المؤسساتي؛ كما يؤكد هذا التيار، ربما بقراءة جديدة لنيتشه، على ارادة القوة التي تسميها أنت الحرية. أين يقف فرنسوا شاتليه داخل هذا التيار؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** إن ما يلفت نظري هو أن كل ما يتحول الى مؤسسة يتوقف عن التفكير. لذلك فإن وضع أستاذ الفلسفة ليس سيئاً كلياً في نهاية المطاف؛ بالطبع انه لا يستطيع التمسك بالمؤسسة التي ينتمي اليها، خاصة وأنها لا تتطلب منه شيئاً يذكر على المستوى الايديولوجي، فنحن نعيش لحسن الحظ في بلد ليبرالي نتمتع

فيه ببعض الحريات التي نحرص على الدفاع عنها، خاصة وأنها قد تكون مهددة في المستقبل؛ كما وأننا لا نستطيع، من جهة ثانية، أن نتعاطف مع القيم التي سبق لي أن انتقدتها في كتاب « فلسفة الأساتذة »؛ لذلك فنحن ننتج الفلسفة التي نريد ونشكل نوعاً من « القناصة الأحرار »، وبهذا المعنى يجب ألا نتجمع، وعلى كل منا أن يتابع عمله حيث هو، وبالارادة والوجهة التي يحملها؛ هذا مع العلم ان مقياس أي عمل لا يقوم على الانتماء الى هذا أو ذاك، بقدر ما يقوم على قدرته النقدية من جهة، وعلى تحسسه للظواهر العميقة في المجتمع من جهة ثانية، وهذا أمر أشد صعوبة، اذ يجب عدم الوقوع في الخطأ في هذا المجال؛ ومن وجهة النظر هذه، أنا مرتاح لوضع الانتاج الفلسفي الحالي في فرنسا الذي يشهد ظهور كتب مهمة بالرغم من قلة عددها، وذلك في مجالات الفلسفة والاثنولوجيا والانتروبولوجيا والتفكير حول العلوم الطبيعية، الفيزيائية والبيولوجية؛ ان ما يقلقني هو قلة النشاطات في مجال الإبداع الفني، إذ أعتقد ان للفلسفة علاقة وثيقة بكل هذه المجالات، وانه لا يمكننا أن نتخيل فلسفة ناشطة، حية وخلاقة إذا لم تكن مدعومة بأنواع شتى من الحركات الإجتماعية التي تعيد النظر في الأشياء ـ من المؤكد مثلاً ان من العناصر التي سمحت للفلسفة في فرنسا أن تنمو بعد 1968، حين نشرت الكتب الأساسية لفوكو، دولوز وغاتاري، وجود حركات صاعدة كالحركة النسائية وحركة السجون ـ كل ذلك مهم، ولكن الأهم هو وجود نشاط فكري، اذ من الملاحظ في مجالات الرواية والموسيقى والرسم، إننا نفتقر الى الانتاج الجدي؛ من المؤسف مثلاً أن تكون السينما الفرنسية على ما هي عليه، فالانتاج السينمائي في فرنسا ضعيف.

□ **سهيل القش: وفي مجال الشعر، يبدو ان زمن الشعراء الكبار قد ولى، أو بالحري لم يستأنف بعد.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** نعم، هناك حسب معرفتي قليل من الشعراء الكبار في فرنسا حالياً؛ فهناك جاك روبو، دوبوشيه، الخ.. لدينا شعراء كبار ولكنهم من عمري. وكذلك في مجالات الرواية، لدينا مارغريت دورا وميشال تورنييه، ولكن مارغريت أكبر مني وميشال من عمري. كما ترى ليس لدينا الكثير في هذه المجالات، لذلك نحن بحاجة الى دفع جديد كي لا تقع فرنسا في الاقليمية.

□ **سهيل القش: ماذا تعني بكلمة « شاعر كبير »؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** الشاعر الكبير هو ـ وهنا أستعيد عبارة ستيفان مالارميه الشهيرة ـ « ذلك الذي يرد لكلمة الرمز معناها »، أي هو الذي يجعل الكلمات تنطق بشكل مختلف؛ ان كلمة ما كانت تعني بالنسبة الينا هذا الشيء، ونكتشف فجأة انها تعني شيئاً آخر مختلفاً كلياً؛ فبينما كنا نعتقد بأن هذه الصيغة كانت تعني كذا، نكتشف انها تعني شيئاً آخر، وهذا الشيء الآخر الذي أصبحت تقوله فجأة كان يجوزتنا دون أن ندرك ذلك؛ ولكني هنا أعطي تعريفاً للنجاح في مجال الفن. فما هو اذن الفيلم العظيم؟ انه عبارة عن فيلم يصوغ بالصور

والعبارات والأصوات أشياء لم نكن نتصور يوماً انه بالامكان صياغتها بهذه الطريقة. وفجأة نجد أنفسنا أمام اكتشاف حقيقي ونقول لأنفسنا: من المستحيل أن يكون الأمر أمامنا بهذا الشكل، اذ لم نكن يوماً نفكر أن ذلك ممكن!

## 2 ـ المثقف الغربي والثورة في الشرق

**▫ سهيل القش: بعد جولة الأفق هذه وسط الثقافة والثورة في الغرب، لو نتحدث قليلاً عن علاقة المثقف الغربي بالثورة في الشرق. من الملاحظ ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين تمرد المثقف الغربي على مجتمعه وتعاطفه وتأييده للشعوب المقهورة في العالم الثالث. لنقل ان الثورة كانت تأتيكم دائماً من مكان آخر: الجزائر، فيتنام، فلسطين والآن ايران. اذا اتفقنا حول أهمية حدثين يندرجان داخل الإسلام: إيران وأفغانستان، فلنحاول أن نتبين انعكاس هذين الحدثين على المثقف الغربي في وعيه لتناقضات العالم المعاصر.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** فيما يتعلق بالامبريالية، أنا أعتقد ان هناك مسألة قد اتضحت الآن، ويجب أن تصبح واضحة للجميع، وهي أن الامبريالية تشمل النصف الشمالي من الكرة الأرضية؛ هذا يعني انه يجب ألا نعطي أي امتياز للامبريالية الأميركية على الامبريالية السوفياتية من حيث الشراسة. من الأهمية بمكان القيام بدراسة مقارنة بين هذين النوعين من الامبريالية ونمط ممارستها. فهذا يشكل موضوعاً جديداً بالنسبة للذين يهتمون بماركس وينتمون اليه، أن يحللوا مميزات الامبريالية السوفياتية التي تختلف عن الامبريالية الأميركية. فمن فوائد هذه الدراسة أن تبرهن ان بين هاتين الامبرياليتين، بالرغم من تنافسهما الفعلي، تواطؤاً لا يقل واقعية؛ أي أنهما مترابطتان، وغالباً ما تتعاونان في ردود فعلهما الارادية واللاارادية؛ وأنا أعتقد ان هذه الوجهة في المقاربة تؤكدها الأحداث الأخيرة التي أشرت اليها لتوك: ايران وأفغانستان، حيث نلمس التكاتف العميق الذي يجمعهما، اذ ان الأمر يعود في نهاية المطاف الى وضع اليد على أراض، وذلك على مستوى الممارسة الامبريالية المباشرة؛ فالأميركيون يائسون لفقدانهم مواقعهم السابقة في ايران، وهذا ما يستغله السوفيات ليضعوا جيوشهم في أفغانستان؛ كل هذا واضح، وهما في الواقع في تعاون حتى ولو لم تكونا تسعيان لذلك، وبالرغم من العدائية التي تحكم علاقتهما. وبتعبير آخر انهما كالشكل والمادة عند أرسطو، فالتنافس والتواطؤ لا يتعارضان بل هما يتلاءمان؛ أنا أعتقد ان كل ذلك واضح وجلي، وعلينا الا نحجب الأشياء عن أنفسنا. أنا أعتقد ان ... التواطؤ / التنافس بين الامبرياليتين، ان هو الا تواطؤ داخل ظاهرة عامة يجب تسميتها بسلطة رأس المال، د ان الاتحاد السوفياتي ان هو الا شكل من أشكال الدولة الرأسمالية. يمكننا تحليل كل ذلك بشكل دقيق. ومن المؤسف الا تتجه الأبحاث العلمية في هذا الاتجاه. لقد لفت نظري في الفترة الأخيرة خبر رسمي نشـ جريدة لوموند ـ وقد فوجئت لأنه لم يقم جدال حوله ـ مفاده ان الصين على استعداد لاستيراد عشر

الألوف من العمال؛ ان هذه الوجهة في فهم العمل والمواطنين تنسجم تماماً مع الوجهة الكلاسيكية للامبريالية.

**□ سهيل القش: يستشف من هذا المنطق انه قد يؤدي الى نفس الوجهة التي تحاول عبرها هيلين كارير دنكوس دراسة الاتحاد السوفياتي من وجهة نظر انتروبولوجية.**

- **فرنسوا شاتليه:** أجل، أنا أجد عمل هيلين دنكوس فائق الأهمية، وأعتقد انها تفتح أفقاً جديداً؛ ولكن ما يجب دراسته عن كثب، ولا أدري اذا كانت المراجع متوفرة لذلك، هو إمكانية تجدد انتاج الرأسمالية في الجمهوريات الإسلامية، ومن المهم أن نرى نوع العلاقات الاجتماعية في هذه الجمهوريات، اذ قد نقع على نوع من العلاقات الاجتماعية الجديدة كلياً وغير المألوفة.

أما بالنسبة لسؤالك الأول الذي لم أردّ عليه بعد: لماذا يتجه المثقفون الفرنسيون دائماً نحو الثورات في الشرق؟ السبب في ذلك يعود الى الجمود القائم في فرنسا، وهو جمود مرتبط للأسف، ويجب قول ذلك، بنضال الطبقة العاملة في فرنسا وبالحزب الشيوعي، فنتجه نحو العالم الثالث لأننا لم نعد قادرين على اعتبار الطبقة العاملة الفرنسية ثورية. ولكن لا نستطيع اطلاق أحكام مسبقة؛ فأنا أعتقد انه، من وجهة النظر هذه، يجب الا نيأس؛ فقد تجري الأمور عبر طرق أخرى مختلفة عن الطرق التي اعتدنا سلوكها. ان كل الأبحاث القائمة حالياً في فرنسا وايطاليا حول العمل، وحول الجهود المبذولة لتأمين استقلالية الطبقة العاملة، الخ... ان كل ذلك قد يأتي بشيء جديد، وهو ما يعكس وقائع معينة قد يكون لها نتائج غير متوقعة قد تفاجئنا حين ستنفجر. انه لوضع مأساوي أن ينتهي المطاف بأمثالي فيتمنون للحزب الشيوعي أن يفقد شعبيته حتى تصل الى ٧٪ من الأصوات في فرنسا؛ وحين أتمنى له ذلك أقول في نفس الوقت ان ذلك لو حصل لا نعكس سلباً على ميزان القوى في فرنسا، وسيكون ذلك لصالح جيسكار ديستان، وأنا منزعج لقول ذلك، اذ اني مقتنع بأهمية أن يكون بامكان الطبقة العاملة التحرر من الحزب الشيوعي؛ هذا مع العلم أن تحررها من الحزب الشيوعي قد يكون مؤشراً لانكفائها عن السياسة، وهو أمر مؤسف جداً.

**□ سهيل القش: نصل هنا الى نفس النتيجة التي وصل اليها امانويل تيري: «ان مفارقة اليسار في فرنسا تقوم على تناقض: لا يمكن أن نقوم بالثورة مع الحزب الشيوعي، كما لا يمكن أن نقوم بها بدونه».**

- **فرنسوا شاتليه:** وهنا تكمن المأساة.

**□ سهيل القش: لنعد الى ايران. من الواضح انك حاولت أن تدعم الحركة الإسلامية في ايران ضمن فهمك لها كحركة تعبوية مناوئة للامبريالية؛ لنا عودة فيما بعد الى برنامج الحكومة الإسلامية كسلطة بديلة؛ من المفيد بادىء ذي بدء أن نعرض حالة المثقف الغربي في تقبل وفهم واقع المثقف الإسلامي الثوري. انني أتساءل: هل فاجأتك الخيمة التي نصبها الخميني قرب باريس؟**

- **فرنسوا شاتليه:** لقد تلقيت بفرح عظيم أخبار الانتفاضة في ايران التي تابعتها على امتداد سنة قبل

انتصارها عبر أصدقاء وطلاب ايرانيين كنا نعمل معاً في وقت من الأوقات. لقد تابعت بفرح عميق هذه الحركات الشجاعة من المقاومة الشعبية التي شملت فئات واسعة من الشعب وتصدت لنظام الشاه. وأنا أذكر جيداً ان هذه الحركات قد تزامنت مع تصفية ديكتاتور في أميركا الوسطى، في وقت كنا نتلقى فيه الهزيمة تلو الأخرى، فقلت لزوجتي حينذاك: وأخيراً أخبار سارة. كما أذكر إنني التقيت في سفارة الباكستان بامرأة من أقارب الشاه تركت ايران قبل الشاه ببضعة أيام وكانت تتوجه إلينا بقولها إن ايران قد تتعرض لخطر الحرب الأهلية، فكان جوابي لها ان الحرب الأهلية قائمة في ايران منذ تسلم الشاه السلطة، وأنا لا أرى ما الذي تغير. وقد جاء ردي مزعجاً، ولكني صرحت لها بما أفكر إذ كان حماسي عظيماً لانتفاضة الشعب الايراني. وبالرغم من ذلك، لا أدري إذا كان عدائي للأكليروس، وهو عداء ملازم لمنشأي الفرنسي، ذا تأثير في تحفظي. لقد كنت دائماً وما زلت شديد التحفظ أزاء كل الأواليات التي تنطلق من دوافع كهنوتية أو دينية. توضيحاً لكلامي أقول اني أؤيد بعمق تصفية نظام الشاه وتصفية الوجود الامبريالي الأميركي من ايران، ولكن فيما يتعلق بالمجتمع الايراني، فإنني أتساءل اذا لم يكن نظام الخميني نتاجاً لنظام الشاه. هذا هو إذن السؤال الذي أطرحه على نفسي: ألا تولد حالة القمع والغاء الحياة السياسية نظاماً - باستعمال مفردات هيغل المبسطة - هو غالباً «النفي المجرد لما ينفي». خاصة بالنسبة للوقائع التي أتحسسها بنوع خاص: العلاقات الاجتماعية. هل سيغير نظام الخميني شيئاً ما في العلاقات الاجتماعية؟

□ **سهيل القش: لماذا يناقش المثقف الغربي حول «الثورة بدون نموذج» مطولاً بالنسبة لمجتمعه، وحين يتعلق الأمر بالآخرين ينسى إمكانية حدوث ذلك لديهم؟ أنا أعتبر ان التساؤل حول السلطة الإسلامية البديلة تساؤل مشروع يضعنا في صلب النقاش حول علاقة الماضي بالمستقبل، وحول العودة الى النموذج الإسلامي الماضي لبناء المستقبل. ولكن الأهم ألا نحكم على حركة جماهيرية قبل أن تستنفد خيالها الإبداعي في تصور علاقات بديلة أرقى.**

- **فرنسوا شاتليه:** أنا لا أستبق الأمور؛ فما ألاحظه مثلاً بالنسبة لأمرين: وضع المرأة، والأقليات السياسية والقومية، وهما أمران أتحسسهما جيداً.

□ **سهيل القش: بالرغم من الضجة غير البريئة التي أثيرت في الاعلام الغربي حول هذه المواضيع وحملة التشويه التي كانت وراءها قوى معروفة؟**

- **فرنسوا شاتليه:** هذا ممكن. إن رأيي حول هذه المواضيع يستند الى المعلومات المتوفرة هنا في الغرب، وقد تكون هذه المعلومات خاطئة، لذلك أنا متحفظ ازاء ذلك وأقول: اذا كانت المعلومات صحيحة، فإني أخشى أن تكون العلاقات الاجتماعية قد بقيت على حالها. وأنا لا تهمني في هذا المجال الطبقات العليا، بل أتكلم عن الجماهير؛ ان استبعاد المرأة وقمع الأقليات القومية والسياسية، يبدوان لي كظاهرة تدعو للقلق بالنسبة لمستقبل هذا المجتمع؛ وهذا أدينه كما كنت أدينه حين كنت عضواً في الحزب الشيوعي بالنسبة لكرونشتاد، وقد كان

جوابهم لي إننا لا نأكل البيض دون كسره، وهذا منطق كنت دائماً أرفضه، وما زلت أدينه بالنسبة للاتحاد السوفياتي كما بالنسبة لايران. من المعروف إلى أين يؤدي هذا المنطق: إلى القمع. إن حوادث تبريز الأخيرة تشكل ظاهرة تدعو للقلق. هذا مع التحفظ بالنسبة لصحة المعلومات في الغرب.

□ **سهيل القش: يبدو لي ان ايران لم تتعرض لعملية البلقنة في القرن التاسع عشر كما حصل في الامبراطورية العثمانية، ومرد ذلك الى ان بريطانيا استطاعت أن تسيطر على السلطة المركزية، فلم تساند السلطة والعصبيات المحلية. ومع ضرب سلطة الشاه المركزية مؤخراً، استعادت الامبريالية تكتيكاً قديماً يقوم على دعم الأقليات. وهذا ما يضع الثورة أمام صعوبات ناتجة عن الجمع بين الوحدة والاختلاف، بين المركزية والديمقراطية. قد يكون الهجوم على السفارة الأميركية يصب في منحى التأكيد على العدو الخارجي لرأب الصدع الداخلي، وقد أعقب ذلك تظاهر الأقليات والتنظيمات المعارضة وتأييدها للخميني، وهذا ما يضع الثورة أمام جدل بناء السلطة في الداخل وتوسيع نطاق الثورة في الخارج.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** أنا أعقد أملاً كبيراً على أن يكون النظام الايراني الجديد نظاماً شعبياً، ولكني اعتدت أن أكون حذراً إزاء كل ما له علاقة بالأديان التوحيدية التي كانت وراء تأسيس سلطة مركزية موحدة.

□ **سهيل القش: لنقل انك تحاول أن تذهب الى أقصى ما يمكن لمثقف غربي أن يصل اليه في دعمه لحركة جاهيرية ذات لغة دينية يتلمس حروفها دون أن يعتبرها مخرجاً نظرياً لتصفية حسابه مع ماضيه الهيغلي ـ الماركسي. استنتج ذلك بهذه الصيغة انطلاقاً من واقع مستجد في بلادنا يعيشه بعض المثقفين العرب الذين كانوا يعيشون مأزقاً داخل النسق الهيغلي ـ الماركسي، فجاءت الثورة الإسلامية في ايران لتشكل لهم مخرجاً سهلاً ومبسطاً يسمح لهم بنقد ماضيهم الماركسي على انه ماضٍ فكري تشوبه المركزية ـ الأوروبية، وتبنوا اللغة الدينية سياسياً ونظرياً.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** ولكني لا أعتقد ان المركزية ـ الشرقية هي المرجع الصالح لنقد المركزية ـ الأوروبية. أنا أعتقد ان المركزية بشكل عام (الغربية والشرقية)، هي شيء مؤسف؛ ذلك أنها، على المستوى الفكري، تمنع التفكير الحر؛ وعلى المستوى العملي، قد تؤدي الى إقامة أنظمة تسلطية. لذلك أنا شديد الحذر بالنسبة لأية مركزية؛ هذا لا يعني ان أتحامل على الإسلام بالذات من بين بقية الأديان، بل أضعها جميعاً في نفس المستوى؛ أنا حذر منها لأن كل دين سماوي يضع نفسه دائماً ضمن أفق استبعاد الآخر كآخر ليس من نفس الطينة، لذلك أعتقد اني لا يمكن أن أقبل بهذه الوجهة خاصة وان الدين التوحيدي يحمل بداخله توقاً الى اقامة تراتبية بين الكائنات والأفراد: الرجال، النساء، الأولاد. وكل ذلك يبدو لي خطيراً من حيث النتائج.

□ **سهيل القش: هل نستطيع القول بأن هذا الموقف «العقلاني» معمم في أوساط المثقفين في الغرب؟ يبدو لي ان موقف ميشال فوكو مثلاً أقل تحفظاً.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** بالنسبة لفوكو، أنا لا أعرف أين وجد علمه حول هذا الموضوع، فهو قد لجأ الى التمييز

بين الشيعة والسُّنَّة ليقول ان الشيعة ديمقراطيون، عكس السُّنَّة. أنا أوافق على قوله اذا برهن لي ذلك. من جهتي، أنا مسرور جداً لهزيمة الامبريالية الأميركية في ايران بعد هزيمتها في فيتنام. كما أتمنى أن لا يؤدي ذلك الى انتصار الامبريالية السوفياتية، اذ لماذا يجب أن نختار بين الطاعون والكوليرا. فأنا كأوروبي أرى ان الخطر السوفياتي يدعو الى القلق. أنا لا أخبىء نفوري من السوفيات، وهو نفور يزداد شيئاً فشيئاً، وأنا أتعجب أن يبقى لدى البعض أوهام في هذا المجال؛ ولا أفهم، خاصة بعد تصريح جورج مارشيه حول أفغانستان، كيف لم يتوفر وجود ألف شخص على الأقل ليمزقوا بطاقاتهم الحزبية؛ أنا لا أدري كيف يمكن للويس التوسير أن يجدّد انتماءه الى هذه المدرسة.

## 3 ـ علاقة المثقف الغربي بالمثقف العربي وبالإسلام

**▫ سهيل القش: لو نتطرق قليلاً لموضوع علاقة المثقف الغربي بالمثقف العربي وبالإسلام، انطلاقاً من اهتمامك بموضوع الاستعمار الثقافي، وهو موضوع سبق لك أن تناولته في محاضرة ألقيتها في بيروت وحثيت فيها المثقفين العرب على التمرد على الحضارة الغربية التي تنتمي اليها.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** إني أذكر فعلاً ان ذلك كان توجهي حين حاضرت في لبنان عام 1970، وكان لي شرف انسحاب الملحق الثقافي الفرنسي حين بدأت بالكلام. والطريف في الموضوع وجود عدد من المثقفين في البلدان ذات الثقافة الفرنسية يسعون الى تبني مفاهيم كنا نحن نتسابق للتخلص منها. هذا هو الموضوع الذي تطرقت اليه، وقد كان على صلة بما اختبرته في الكيبيك حيث واجهت وضعاً بدا لي متخلفاً اذ رأيت الناس يعانون من عجزهم عن صياغة مفاهيم نسعى نحن الى التخلص منها، كونها تندرج ضمن فلسفات التاريخ؛ لقد كنت آنذاك في بداية تحولي الفكري.

**▫ سهيل القش: أنت تحاول أن تلم بمسألة علاقة المستشرق بظله: المثقف المحلي المقلد.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** بالضبط. أنا أعتقد ان الثقافة العربية غنية وحية بما فيه الكفاية. فليس المطروح العودة الى الماضي العربي، كما انه ليس مطروحاً بالنسبة الينا العودة الى ديكارت او ديدرو، بل علينا أن نبتكر انطلاقاً من ديكارت وديدرو. لقد درجت العادة منذ 15 سنة على الذم بديكارت؛ فقد ألف وزير المال الحالي، الذي كان آنذاك قائداً للشرطة، كتاباً بعنوان: من أجل مقولة جديدة في الطريقة، وحيث يعتبر أن ديكارت قد تمّ تجاوزه كلياً، وأنا أذكر إنني كتبت مقالاً أرد فيه عليه معتبراً ان ديكارت لم يتم تجاوزه؛ مع العلم انني لست من أتباع ديكارت؛ فهو قد مات ولكنه ما زال حاضراً في رؤوسنا، وهو موجود باستمرار كماركس وكانط. أنا أعتقد ان الثقافة العربية لديها ما يكفي من الشخصيات الفذة لكي تبتكر بطريقة مستقلة كلياً، دون أن تلجأ الى تقليد الغرب؛ اذا وجدت أشياء صالحة للاقتباس عند الغرب فليكن، ولكن على نفس المستوى الذي قد يفرض أخذ

أشياء من البلدان العربية أو من مكان آخر؛ أنا مقتنع بامكانية أخذ أشياء كثيرة عن الأدب الروائي في أميركا الجنوبية، وأنا آخذ مثالاً على ذلك بورجيس؛ انه رجعي في بلده، ولكن ذلك لا ينفي كونه فيلسوفاً كبيراً. على الجميع أن يغرف من قاع البشرية هذا.

□ **سهيل القش: هل لديك اطلاع عن كثب على الانتاج الفكري العربي؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** مع الأسف كلا. فأنا عدم من ناحية اللغات الحية حتى تلك المكتوبة بالحرف اللاتيني، فكيف بالحري لغة أكثر تعقيداً. لذلك يقتصر اطلاعي على الأشياء المترجمة، وقد شغفت بالأدب المغربي والتونسي، وخاصة الجزائري؛ لقد أعجبت بانتاج عدد من الروائيين الجزائريين، خاصة كاتب ياسين. وقد أسفت لتوقفهم عن الكتابة باللغة الفرنسية، لأسباب وجيهة بالطبع، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يشعرون بعجزهم عن الانتاج باللغة العربية؛ وهنا تطرح مسألة حساسة جداً لا أجرؤ على معالجتها بعمق، بل اكتفي فقط بالاشارة اليها بالعودة الى نص مهم لدولوز ـ غاتاري يدور حول كافكا وهو بعنوان: «من أجل أدب صغير»، وهو يتضمن مثالين مهمين: كافكا وجويس اللذين كتبا أشياء تستحق الاعجاب، ليس فقط من الناحية الأدبية الجمالية، بل من الناحية الفلسفية أيضاً، في تحليلها للواقع الإنساني؛ وربما يعود ذلك لكون الأول من أصل تشيكي كتب باللغة الالمانية، والثاني من أصل ايرلندي كتب باللغة الانكليزية. وهنا أطرح المسألة؛ فقد يكون مؤسفاً أن يتوقف أناس مثل كاتب ياسين عن الكتابة باللغة الفرنسية بالرغم من كونها لغة الاستعمار. إن هذه المسألة التي أطرحها ليست سهلة؛ لا تعتقد بانني مثل ماسينيون الذي يدعو لكتابة العربية بأحرف لاتينية، إذ ان هذا الحل عبثي ولا معنى له فعلياً.

أنا إذن لست مطلعاً على الانتاج الفكري باللغة العربية إذ إن الترجمات الى الفرنسية نادرة جداً. وهذا عمل يقع على عاتقكم أنتم، ونحن نوجه اليكم نداء بهذا الصدد.

□ **سهيل القش: ألم تكن يوماً ميالاً لأن تصبح مستشرقاً؟ فقد سبق لك أن درست اللغتين اليونانية واللاتينية، كيف لم تراودك فكرة دراسة اللغة العربية وآدابها؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** أعتقد ان ذلك نقص لديَّ؛ هذا مع العلم ان اللغات (غير اللغة الأم) لكي نعيشها من الداخل، يجب أن نتعلمها صغاراً وإلا أصبحت مجرد لباس نلبسه؛ في الواقع أنا أرتاح داخل اللغتين اليونانية واللاتينية لأنني تمرست بها شاباً. لأي سبب؟ لست أدري، ربما لأنني أعجبت بها شاباً، وقد عشتها من الداخل؛ ولأسباب تتعلق بالثقافية التي انتميت اليها لم أتعلم اللغة العربية وأيقنت الآن انه قد فات الأوان لذلك، إذ كان يجب أن أقوم بذلك في فترة الشباب.

□ **سهيل القش: هل لاحقت عن كثب انتاج المستشرقين الفكري حول بلادنا؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** لاحقت انتاج المستشرقين، ولكن بشكل غير مباشر، اذ انني كنت أثناء حرب الجزائر

على علاقة بلويس ماسينيون الذي كان في تلك الفترة قد أصبح هرماً، كما كنت كذلك على علاقة بريجيس بلاشير الذي كان تصرفه مميزاً في تلك الفترة، حتى ولو لم يكن مهتماً بالسياسة، وقد كنت أراه باستمرار وأناقش معه مطولاً حول مسائل اللغة، وكنت أكنّ له احتراماً عظيماً.

**□ سهيل القش: كيف تفسر هذا الشعور بالضغينة الذي يحكم رد فعل المستشرقين علينا ـ نحن موضوع دراستهم ـ حين ننتقدهم؟ هل تعتقد بأن هناك رسالة استشراقية علمية بعيداً عن المصالح؟**

**فرنسوا شاتليه:** أعتقد ان الاستشراق ظاهرة اختصاص؛ إذ كوّن المستشرقون لأنفسهم موضوعاً قائماً على لغتهم العربية، وعلى حياتهم واختصاصهم؛ وهم يشعرون حين تنتقدونهم بانكم تنتزعون منهم ذلك بورشة لا يمكن قياس نتائجها. يوجد حالياً في فرنسا اختصاصي في شؤون العالم اليوناني من مستوى رفيع جداً اسمه جان بولاك، وقد كتب مؤخراً مقالاً قيماً في جريدة لوموند حول الترجمات عن اللغة اليونانية، جان بولاك مكروه من قبل جميع الاختصاصيين الفرنسيين بشؤون العالم اليوناني، لأن موقفه من اللغة اليونانية مشابه لموقف المثقفين العرب الشباب من المستشرقين. فقد اعتبر انهم اخترعوا لغة يونانية لا علاقة لها بلغته اليونانية، وأكد لهم انه على صواب مع الأدلة على ذلك. ان المسألة تطرح على هذا المستوى من الحساسية المهنية في الاختصاص. فهم يشعرون ان شيئاً ما، كانوا يعتقدون انه بمتناول يدهم، قد انتزع منهم.

**□ سهيل القش: هذا مرتبط بتداعي سلطة ما.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** هذا مرتبط بسلطة، ولكني أدع جانباً ظواهر السلطة بمعناها المتداول والعيني، أي سلطة السيطرة. ان الأمر مرتبط بظاهرة عاطفية كولد يجد نفسه مجبراً على تغيير مسار أو طموح أعد له؛ فقد أعد للغة العربية مساراً معيناً، وفجأة يبرز من يقول له ان الأمر على خلاف ذلك.

**□ سهيل القش: أنا أذكر بهذا الصدد سجالاً جرى في مجلة Diogène حين كتب أنور عبد الملك مقالاً حول «الاستشراق في مأزق»، وقد كان رد كلود كاهين عليه يتعدى اطار الموضوعية، وكذلك رد فرنسيسكو غابرييلي. كما أذكر مقابلة مع جاك بيرك مؤخراً في جريدة «السفير»، حيث نجد بيرك ينتفض في كل مرة يمس موضوع الاستشراق وتطرح أسئلة حول أسس؛ كما وان دومينيك شوفالييه لا يقل عنه تشنجاً في هذا المجال.**

ـ **فرنسوا شاتليه:** ان هذه الظاهرة منتشرة جداً. لا أريد أن أفسر الأمور كما يفعل «لوجوندر» في كتابه حول «حب المراقب»، حين يشرح حساسية الموظف بالنسبة لموضوع عمله؛ فهو يقول انها حساسية فلاح صغير يملك أرضاً ولا يريد أن يمسها أحد. انها لمسلية جداً هذه الصفحة التي يتناول فيها لوجوندر عقلية الموظف الفرنسي والفلاح. أنا أقول ان المستشرق يمثل حالة مشابهة. لنأخذ حالة أخرى: حين بدأ رينه شيرر يكتب حول فورييه، هاجمته بعنف امرأة اسمها سيمون دوبو لأنها كانت تعتبر فورييه خاصتها ويجب ألا يمسه أحد. وقد بادر أصدقاء مشتركون بتقريب وجهات النظر بينهما وايجاد أرضية للتعايش السلمي وتوزيع عقارات

الاختصاص لكل منها. ان الأمر مرتبط اذن بالملكية. ونجد نفس الظاهرة تتكرر وسط علماء الاثنولوجيا. فعلماء الاثنولوجيا لا يحبون كثيراً الهنود حين يبدأون بالكلام. لقد استقبلنا عندنا مرة على العشاء زعيم قبيلة عرّفنا عليه عالم اثنولوجيا صديق، وقد كان يقول: لا يحق لي أن أتكلم عن قبيلتي، فكلما تكلمت عنها أتعرض لهجوم من قبل جميع علماء الاثنولوجيا الأميركيين الذين يعتبرون إن الأمور ليست كما أشرحها أنا. أنت لا يحق لك أن تقول ذلك لأننا نحن قمنا بدراسات وأبحاث معمقة، الخ...

□ **سهيل القش: وفي الختام، ما هي مشاريعك الحالية؟**

ـ **فرنسوا شاتليه:** أريد أولاً انجاز كتاب بدأناه منذ فترة أنا وايفلين كوتشنر، وهو كتاب حول تاريخ الفكر السياسي، ولم نجد له عنواناً بعد، اذ يبدو انه لا يعالج التاريخ بقدر ما هو تفكير حول تاريخ الفكر. وقد كتبنا منه حتى الآن 700 صفحة حول القرن العشرين فقط، وبقي أمامنا 150 صفحة لكي ننجزه. وبإعادة قراءته اكتشفنا انه ليس سيئاً كلياً، بل اكتشفنا اننا تورطنا في مشروع جنوني. وبعد انجاز هذا الكتاب، أريد أن آخذ بعض المسافة وأكتب كتاباً فلسفياً يتمحور حول ما يدور في فكري اليوم بالنسبة للقوة واختلاس القوة. وأنا أعتقد حالياً ان الفرد هو القوة الوحيدة، وان كل أشكال القوة الأخرى هي اختلاس للقوى الأساسية. أنا أسير الآن في هذا الاتجاه، وأريد أن أكتب كتاباً مبسطاً، لغته غير فلسفية ولكنه مدعم بالبراهين، ومستند الى أوجه فكرية متعددة لا تقتصر على الفلسفة، لأنني أعتقد اننا اليوم بهذه الطريقة يمكننا أن نحاجج في الفلسفة.